مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 28، جانفي 2021، ص - ص: 511 – 526
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

نشأة الرهبنة المسيحية
The genesis of Christian monastic

طالبة دكتوراه ليندة بوعافية
كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة1
مخبر الانتماء: العلوم الإسلامية في الجزائر
huda_lynda@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/08/31 تاريخ القبول: 2020/11/25

الملخص:
يعدّ موضوع (نشأة الرهبنة المسيحية) موضوعا يندرج ضمن الدراسات الدينية المقارنة، يتناول نموذجا لظاهرة دينية، لم تختص بها ديانة بعينها، بل ظاهرة مشتركة بين ديانات عديدة؛ فقد عرفت في الهندوسية، والبوذية، والجينية، والديانة المصرية القديمة، وحتى الأديان السماوية ممثلة في اليهودية، والمسيحية ألا وهي: الرهبنة. وقد ركزنا بحثا على هذه الأخيرة لاعتبارات عديدة أهمها: أن الرهبنة في المسيحية وإن لم تنشأ في حجر الكنيسة، إلا أنها ما لبثت أن أصبحت جزءا أساسيا من النظام الكنسي، ولا تزال إلى يومنا هذا، إضافة إلى الدور الذي لعبته عبر تاريخها في التبشير ونشر المسيحية خاصة في البلاد الإسلامية. والأثر الكبير الذي تركته في تاريخ المسيحيين وتفكيرهم وسلوكهم، لذلك ارتأينا أن نعرض لمسألة نشأتها كنموذج لتجربة دينية لها خصوصياتها.
الكلمات المفتاحية: الرهبنة؛ المسيحية؛ النشأة؛ الكنيسة.

Abstract :
«The genesis of Christian monastic » falls under comparative religious studies. It addresses a common religious phenomenon between many religions like : Hinduism, Buddhism, the ancient Egyptian religion, and also the revealed religions like :Judaism and Christianism . We have focused our research on the latter because moastic was and is still an essential part of the church system, in addition to the role it had played in the evangelism and Christianizing especially in the Islamic world , and the substantial impact it had made in the history of Christians and in their thinking and behaviour .So we have studied its genesis as an example of a religious experience which had its own specificities.
Key words : The monastic, The Christianism, The genesis, The church.

مقدمة:
الرهبانية ظاهرة دينية مشتركة بين ديانات عديدة، كالهندوسية، والبوذية، والجينية، والديانة المصرية القديمة، وحتى الأديان السماوية (اليهودية والمسيحية)، مستثنين الإسلام باعتباره الدين الوحيد الذي أنكرها جملة وتفصيلا، في نص قرآني صريح ﴿... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 27)
وقد جاء البحث للإجابة عن الإشكالية التالية:هل الرهبنة ظاهرة مسيحية نشأت في أحضان الدين المسيحي وداخل أسوار الكنيسة أم أنها دخيلة عنهما؟ ويندرج تحت هذه الإشكالية جملة من الأسئلة

الفرعية، نذكرها كالآتي: ما معنى رهبنة؟ كيف نشأت وتطورت؟ من هم أعلامها؟ هل فعلا لعبت دورا بارزا في التبشير؟.

وقد ركّز البحث على نموذج واحد هو: (الرهبنة المسيحية) لاعتبارات عديدة أهمها: أن الرهبنةالمسيحية وإن لم تنشأ في حجر الكنيسة، لكنها عدّتها نظاما يمكن الانتفاع به[1]، وما لبثت أن صارت جزءا أساسيا من النظام الكنسي، ولا تزال إلى يومنا هذا، إضافة إلى الدور الذي لعبته عبر تاريخها في التبشير ونشر المسيحية خاصة في البلاد الإسلامية. والأثر الكبير الذي تركته في تاريخ المسيحيين وتفكيرهم وسلوكهم، لذلك ارتأيت أن أتعرض لنشأة الرهبنة كنموذج لتجربة دينية لها خصوصياتها، متّبعة لأجل ذلك المنهج التاريخي[2]، والوصفي[3]، وهما الأنسب في مثل هذه الدراسة، مبرزة حيثيات البحث انطلاقا من المحاور التالية:مقدمة، فتعريف بالرهبنة لغة واصطلاحا، نشأة الرهبنة المسيحية وتطورها، وأسباب النشأة، تعريف بأهم أعلامها، ثم الحديث عن أدوارها، وأخيرا خاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصّل إليها وبعض التوصيات المهمة التي قد تعين المهتمين بهذا الموضوع للتوسع فيه.

1. تعريف الرهبنة لغة واصطلاحا:

ـ **أما التعريف اللغوي:** فقد جاء في لسان العرب أن الرهبنة من فعل رَهِبَ بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً، بالضمّ، ورَهَباً، بالتحريك، أَي خافَ. ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً أي خافَه[4].

وقال ابن الأثير: الرَّهْبانِـيَّةُ مَنْسوبة إِلى الرّهْبَنةِ، بزيادة الأَلف، وأصلها من الرهبنة ثم صارت اسما لِـما فَضَل عن المقدارِ وأَفْرَطَ فيه[5]، وهي «من رَهْبَنةِ النصارى. قال: وأَصلها من الرَّهْبةِ: الخَوْفِ؛ كانوا يَتَرَهَّبُون بالتَّخَلي عن أَشْغالِ الدنيا، وتَرْكِ مَلاذِّها، والزُّهْدِ فيها، والعُزلةِ عن أَهلِها، وتَعَمدِ مَشاقِّها، حتى إِنَّ منهم مَن كان يَخْصِـي نَفْسَه ويَضَعُ السِّلسلةَ في عُنقه وغير ذلك من أَنواع التعذيب»[6]، الذي يقوم به الراهب بقصد العبادة والطاعة[7]. لذا جاءت في القرآن بصيغة النهي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:27].

أما التعبير القبطي الذي يستخدم للدلالة على كلمة (راهب) فهو "موناخوس" (monaxos). وأصلها باليونانية (monos). وتنقسم إلى قسمين: (monos) وتعني (الوحيد)، أو (المتوحّد)، أو(العازب)، وهي إحدى صفات الراهب الذي اعتزل الناس ليحيا بمفرده من غير زوجة، ولا أولاد بعيدا عن المجتمع، فيتوفر له الوقت لينمو روحيا ونفسيا. و(isme)؛ وتعني المنهج، وتطلق أيضا على النظام أو الفكر[8].

لكن الملاحظ أن اللفظة لم يرد لها ذكر في الكتاب المقدس، ولا يتضمن تعليماً أو تلميحاً إلى هذا المنحى من الحياة. حتى أن المسيح نفسه لم يدعُ ولا مرة واحدة إلىالحياة الرهبانية، باستثناء ذلك النداء الموجّه لذلك الشاب الذي جاءه يسأله عن الكمال، والذي لا يوحي لوهلة واحدة إلى دعوته إلىالترهبن،بل أجابه المسيح قائلا: (**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي)** (مت 21:19). قال له: (تعال فاتبعني)، ولم يقل له: (تعال وكن راهباً)، فاتّباع يسوع يعني الاقتداء به والسير على خطاه، إنه "الطريق" الموصل إلى الحياة الأبدية، هذا ويسوع نفسه اختار من بين تلاميذه رسلاً ليحملوا رسالته لا ليكونوا رهباناً[9].

- **التعريف الاصطلاحي**: أما التعريف الاصطلاحي للرهبنة فلم يختلف كثيرا عن التعريف اللغوي. فهذا"رؤوف حبيب" يعرّفها كما يلي: «الرهبنة معناها: الزهد والتنسك والانعزال والانفراد بقصد التبتل والعبادة مع اختيار الفقر طوعا»[10]. ومن العلماء من يعرّفها بأنها حياة جماعية أساسها النذور الثلاثة -نذر الطاعة لرئيس الدير، ونذر الفقر، ونذر البتولية-تبدأ باعتزال الدنيا، والتفرغ للعبادة[11].وهذا التعريف الأكثر شمولية، لأنه يحدّد المظاهر الأساسية لحياة الرهبنة، وهي: الفقر، البتولية والطاعة.

والملاحظ من التعاريف السابقة أن الرهبنة طريق اختياري لقلّة يرمون الكمال، أطلق عليهم اسم (الكاملون)؛ فهي عند من أقرّها من الطوائف المسيحية (الكاثوليك والأرثوذكس) «ليست مسألة عقدية، ولا إيمانية، ولكنها تتعلق بالنظام وبنوعية الحياة التي يختارها الإنسان، وهي طريق اختياري وليست أمرا واجب التنفيذ، ولا ترغم الكنيسة عليها أحدا...ومع ذلك فكل ما في الرهبنة من قواعد ومبادئ موجودة بالكتاب المقدس»[12]. أما عندالبروتستانت فهي مرفوضة، لأنه لا سند لها في الكتاب المقدس، بل تعدّ إحدى أهم أسباب انشقاق الكنيسة البروتستانتية.

وتقوم الرهبنة المسيحية على ثلاثة أسس هي: الفقر الاختياري والبتولية (عدم الزواج) والطاعة للمرشد أو المعلم الروحي. والهدف من وراء هذه الممارسات التقرّب إلى الله والاتحاد معه. لكنها تركز على العزلة؛ لأن الرهبنة استخدمت بادئ الأمر للتعبير عن حياة العزلة الكاملة، لذا عرّفها "حكيم أمين" بأنها: «طريقة المعيشة المنعزلة عن الناس في خلوة فردية تامة بقصد العبادة»[13]. واستخدمت فيما بعد للتعبير عن حياة الشراكة الرهبانية (الديرية). وعليه فقد استخدم اللفظ في معناه الواسع للتعبير عن الحياة التي عاشها النساك بعيدا عن العالم سواء في عزلة كاملة أو في حياة الشراكة[14].

ومن المصطلحات التي ارتبطت بالرهبنة مصطلح النسْك؛ حيث وُظّف في النصوص اللآبائية للدلالة على الحياة الرهبانية وممارستها[15].

والنسك معناه: العبادة والطاعة وكل ما يتقرّب به المتعبد إلى الله، وقيل للمتعبد ناسك لأنه خلّص نفسه وصفّاها لله تعالى من دنس الآثام كالسبيكة الخالصة من الخُبث[16]. ويقول "بطرس البستاني": «إن كلمة نسك تعني: تزهد، تعبد، تقشف. والناسك هو العابد المتزهد، والراهب المنفرد عن الناس الذي يصرف أوقاته في القنوت (الطاعة) والعبادة. وجمع الكلمة نسّاك، والناسكة هي مؤنثها، والمَنسك هو المكان الذي يقيم فيه الناسك»[17].

أما في اللغة القبطية فكلمة نسك (CWK) فتعني مِسْح، وهو قميص من الصوف الخشن كان يلبس كعلامة على التوبة[18] أو الحزن[19]، والجمع (Niewk)؛ أي مسوح وهي الثياب الخشنة بشعر[20]. ويقول "الأنبا يوأنس" «فربما رجعت كلمة نُسك إلى هذه الكلمة القبطية (Niewk)، والكلمة القبطية (Cek)، وتعني صام أو زهد»[21].

أما النسك في الاصطلاح الكنسي فهو «يشمل كل ألوان إماتة الجسد والزهد في العالم ...وتطلق على وجه الخصوص على عبادات الآباء الرهبان الذين هجروا العالم وتركوه، وعاشوا في بتولية وتجرّد ومارسوا أصواما مستطيلة بقصد حياة التأمل والصلاة»[22].

وتعبير الحياة النسكية يعني المنهج الذي يسير عليه الراهب طوال حياته الرهبانية، من ضبط النفس في المأكل والمشرب، السهر، الصمت، والتعب في العمل...إلخ.لذا يعتقد المسيحيون أنه بممارسة الراهب للنسك بطريقة سليمة يخلق الله فيه طبيعة روحانية جديدة، ويمدّه بنعمه، كي يتأهل بها للدخول إلى شركة الحياة الأبدية والاتحاد مع الله[23]، ولأجل ذلك عُرف النساك بتسميات مثل " الفلاسفة الملائكيون " أو "

الإلهيون" لأنهم يتوقون إلى معرفة الله. لكن هذه المعرفة-كما يرى المسيحيون-ليست عملاً عقلانياً بقدر ما هي مقاربة إيمانية وغاية صوفية، السبيل إليها الممارسات التقشفية والصلوات.

2. نشأة الرهبنة المسيحية وتطورها:

يُرجع المؤرخون المسيحيون تاريخ ظهور هذه الحركة إلى القرن الرابع، وقيل النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي[24]، في صحارى مصر الشرقية[25]، على يد الأنبا "أنطونيوس الكبير" الذي عُدّ الأب الروحي لرهبان العالم[26]. ومع ذلك فهناك من المفكرين المسيحيين من يعتقد بوجود بعض الممارسات النسكية التي تعتبر بمثابة مقدمات مهدت للنظام الرهباني[27] كما يذكر "يوسابيوس القيصري"[28]، وهي سابقة لرهبانية أنطونيوس[29]، محاولين من خلال ذلك تأكيد المصدر المسيحي لهذه الظاهرة. من هؤلاء "الأنبا يوأنس" الذي يقول في هذا الشأن «أن الحركة النسكية المسيحية بدأت في مصر قبل أنطونيوس بزمان طويل، وهي في ذلك تماشت مع إقبال الناس على اعتناق المسيحية بكثرة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الميلاديين، كما أثبتت ذلك الكشوف البردية القبطية الحديثة وغيرها»[30]، وعدّها"رؤوف حبيب" مقدمات ارتجالية مهدت للنظام الجديد. ومن هؤلاء النساك الأوائل الذين يطلق عليهم لقب (الآباء) نذكر منهم: فرونتونيوس (128-161م) والأنبا بولا السائح **(230-343)**[31]، والعلامة المصري الإسكندري أوريجانوس الذي اعتبره "جوزيبي سكاتولين" مؤسس الحياة الروحية الصوفية" في المسيحية عموماً، والحياة الرهبانية بالأخص[32]. ومع ذلك فمصطلح (رهبانية) لم يستخدم قبل مجيء "أونطونيوس"، بل أطلق على الذي اختار الحياة الانعزالية (الناسك)[33]. وعن أهميتهم يقول الأب "متى المسكين" «وإذا كان أنطونيوس قد سبقه في التوحد المطلق (بولس الطيبي) أول سائح مسيحي وعاه التاريخ إلا أن الرهبنة مدوّنة في كل ما لها من مُثُل ومبادئ ونظم إدارية للقديس أنطونيوس وباخوميوس من بعد»[34]، ويقول "زكي شنودة" «الرهبنة نظام بدأ يستهوي نفوس المسيحيين في مصر منذ الجيل الثالث للمسيح وقد توطدت نظمه وتقاليده وطقوسه على أيدي الرهبان الأوائل أنطونيوس وباخوميوس، ومكاريوس وغيرهم ممن آثروا حياة العزلة والتبتل»[35].

وقد مهّدت هذه النظم، وتلك الحركة النسكية التي أسسها الأقباط الطريق لانطلاق الحركات الرهبانية بكلّ صورها من (نظام الوحدة، ونظام الجماعات، ونظام الشركة) التي انتشرت في مناطق الشرق، وتأسست حياة رهبانية في كل من فلسطين وبراري سوريا والأردن، وبلاد ما بين النهرين[36] على يد "إيلاريوس الفزّي". وفي مقاطعات آسيا الصغرى على يد "باسيليوس الكبير" (329-379م)[37]، هذا الأخير الذي كان له كبير الأثر على الحياة النسكية في كل أديرة الدولة البيزنطية وفي روسيا[38]. أما في العراق فيرجع فضل تأسيسها للراهب القبطي "مار أوجين" (St.Augin)[39]، وفي إثيوبيا التي اجتاحتها موجة الرهبنة أواخر القرن الخامس[40].

وعلى كلٍّ، فإن ما يميّز القرن الثالث ظهور كتابات حول الحياة النسكية، نذكر منها ما كتبه القديس اكليمندس الروماني -رسالتين في البتولية-وتعتبران الأوليين من نوعهما في هذا الموضوع[41]. ورسائل القديس اغناطيوس الأنطاكي[42].

كما تميّز هذا القرن أيضا بتدخل الكنيسة في حياة النساك ما يؤكد ويدعم انتشارها الواسع لدرجة أنها سنّت لهم قوانين في شكل نصائح ملزمة[43]. إلا أن أهم ميزة هي أن الرهبانية المصرية لم تكن نسكا وعبادة فحسب-كما يقول "حكيم أمين"-بل كانت وسيلة هامة من وسائل حفظ التراث القومي حيث لعبت

دورها الفعال في تحصيل العلم، كما خدمت الآداب والعلوم خدمة جليلة مدة طويلة من الزمن فضلا عن إسهامها إسهاما فعالا في نشر المسيحية حين أتيحت لها الظروف[44].

وقد بلغت الرهبنة القبطية أوجّها في القرنين الرابع والخامس للميلاد، لكن بما لبثت أن دبّ الضعف فيها تدريجيا نتيجة الاضطرابات التي حلّت بالبلاد المصرية بسبب الخلافات العقدية والمذهبية، وضغط الأباطرة البيزنطيين الملكانيين على الكنيسة المصرية. أما الضربة القاصمة فكانت مع الفتح الاسلامي، وما ترتب عنهمن ارتداد الكثيرين عن المسيحية[45]. ويضيف الأنبا يوأنس نقطتين مهمتين يعتقد أنهما من أسباب ضعف الرهبنة المسيحية في مصر، وهما[46]:

- **الكهنوت**: إذ يؤكد أن: «الرهبنة مسلك تعبدي وطريق اعتزال وانفراد في الصحارى والبراري والقفار. ولها مراتب ودرجات روحية مستقلة عن درجات الكهنوت. ومن ذلك آباء الرهبنة الكبار، ومن يسمونهم بآباء الأسكيم. وقد حرصوا طيلة حياتهم على عدم نوال أية درجة كهنوتية حفاظا على الرهبانية كطريق للتعبد الخالص وصونا لفكرتها الأصلية نقية من كل هدف للبلوغ إلى مراتب الكهنوت»[47]. لذا استمر عدم رسامة كهنة من بين رهبان أديرة باخوميوس أكثر من مئة سنة، كما حذّر من الرتب الكهنوتية خاصة بعد أن احتضنت الكنيسة الرهبنة كنظام يمكن الانتفاع به[48].

- **الأوقاف**: ويقول في هذا الشأن: «إن صبّ أوقاف وأموال طائلة على الأديرة للإنفاق منها على الرهبان تتنافى أساسا مع أحد نذور الرهبنة الأساسية وهو (التجرد أو ما يسمى بالفقر الاختياري) ... وإذا وجدت البطالة وزادت عليها الرفاهية في الحياة الرهبانية نتجت عنها أضرار كثيرة الأمر الذي ظهرت آثاره على الحياة الديرية على مرّ الأجيال»[49].

وإنْشكّل الشرق لا سيما مصر وبلاد الشام مصدرا ثريّا للنسك وللتصوف المسيحي، غير أن الروحانية الشرقية ما لبثت أن انتقلت إلى العالم الغربي مع بدايات العصور الوسطى[50]، وشملت بلاد الغال[51]، وأروبا والجزر البريطانية[52]. وقد حدّد شكل هذه الرهبنة الأوروبية بواسطة الأفكار والتقاليد التي نشأت مع آباء الصحراء المصريين. وقد انتشر هذا الفكر الروحي عن طريق روافد أهمها: الزائرون والرحالة والرهبان والكتابات المختلفة، وبفضلها تكوّن جسر ضخم نقل إلى أوربا أنظمة الرهبانية الديرية المصرية. وما لبثت أن ظهرت آثارها على يد القديس بندكت (480-543م)، كما برزت شخصيات فاعلة ساهمت في إرساء قوانين تنظيمية متنوعة من أمثال: أوغسطين (354-430م)[53]، ويوحنا كيساس (360-440م)[54].

وقد قسم الأنبا يوأنس الرهبنة الغربية إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: وهم الرهبان بالمعنى الأصيل أو ما يطلق عليهم (MoinesMonk,): وهؤلاء سخّروا حياتهم للعبادة والتأمل، ملتزمين في رهبانيتهم بقوانين بندكت. ويدخل ضمن هذا النوع كل من الرهبان البندكتيين، والسيسترسيان، والكارتوزيان، والكامالدول[55].

النوع الثاني: الكهنة العائشون وهؤلاء يعيشون حياة الشركة، ويخدمون الشعب بإقامة القدّاسات وسائر الخدمات الطقسية. وأفضل مثال لهذا النوع الرهبان البريمونتريه؛ وهذه الجماعةتسيّر حسب قوانين القديس أوغسطين التي جمعت بين خدمة الكهنوت والحياة الديرية[56].

النوع الثالث: الرهبان المتسوّلون؛ وهم نوع من المكرّسين الذين يعيشون حياة الشركة الديرية، وقد أخذوا عن قوانين بندكت وجوب الاشتراك في جميع طقوس الكنيسة، وكذا بعض الممارسات الرهبانية كالصوم والصمت والاعتكاف، لكنهم مجبرون على خدمة الكنيسة ليس فقط بإقامة الطقوس الكنسية

كالنوع الثاني، بل أيضا بالوعظ والكرازة وسائر الخدمات الرعوية والتبشيرية والدراسات اللاهوتية والدفاع عن المسيحية. وينضوي تحت هذا النوعرهبنة الدومينيكان؛ نسبة إلى مؤسسها الراهب دومنيكوس، وتعرف أيضا بـاسم رهبنة (الإخوة الوعاظ)[57]، والفرنسيسكان المعروفة برهبنة (الإخوة الصغار)[58] التي أسسها الراهب فرنسيس الأسيسي، والأغسطينيون[59].

النوع الرابع: الجماعات الرهبانية الحديثة، وأوّلها جماعة الآباء اليسوعيين، التي أسسها الراهب أغناطيوس دي لويولا. ظهرت كردّ فعل على حركة الإصلاح الديني التي تزعمها لوثر. وكان هدفها مقاومة أعداء الكنيسة الكاثوليكية، لذا سميت برهبنة اليسوعيين إشارة إلى أن أعضاءها جنود أنصار لدين يسوع المسيح[60]، لأجل ذلك لم تلتزم بالممارسات الرهبانية كالصوم والاعتكاف، بل اهتمامها كان منصبا حول الكرازة والتبشير[61]. وقد شكلت هذه الجماعة رهبانية جديدة كان لها مستقبل واعد، وكانت شاهداً على حيوية المسيحية الغربية، حيث خلف أغناطيوس وراءه أتباعا يديرون أربعا وسبعين(74) كلية في ثلاث قارات.

ومع العهد الاقطاعي عرفت الرهبنة الغربية تطورا ملحوظا، حتى اشتهرت هذه الفترة بالعصر الذهبي للرهبنة المسيحية، كما ازدهرت رهبانيات كثيرة في القرن الحادي عشر، الأمر الذي يشهد على حيوية الحياة الروحية التي ظهرت نتيجة للظروف التي مرّ بها المجتمع الأوروبي في العصر الوسيط، منها الرهبانيات المتجندة، التي شاركت في الغزوات الصليبية[62]، محافظة بذلك على الدور الذي تولّته منذ نشأتها الأولى، ولا تزال.

وقد شهد القرن السادس عشر ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي التي اتّخذت موقفا رافضا للرهبنة الكاثوليكية الرومانية، ورهبنة الكنيسة الشرقية، وشكّكت في أصلها وشرعيتها، بل واعتبرتها هرطقة. الأمر الذي اقتضى ضرورة التجديد في الرهبنة، ومع مطلع القرن التاسع عشر، تأسست رهبانيات يفوق عددها ما سبق. وقد أولى البابا بيوس التاسع جلّ جهده لإصلاحها لمّا دبّ الفساد فيها،نظرا للدور البارز الذي اضطلعت به كخادمة للكنيسة وأهدافها.

3. أسباب نشأة الرهبنة:

أما عن أسباب نشأة الرهبنة المسيحية فقد أجملها الباحثون في ثلاثةأسباب رئيسية هي:

- السبب السياسي: ويعدّ من أهم الأسباب التي أدّت إلى نشأة الرهبنة المسيحية؛ فقد عانت المسيحية الأولى من الاضطهاد الروماني، وأشدها وطأة ما قام به دقلديانوس سنة303م بإصداره لمنشور يقضي بإبادة الكنائس، وحرق الكتب المسيحية، وحرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية، الأمر الذي دفع بمجموعة من المسيحيين إلى الهروب إلى الصحارى فترهبنوا. لكن على الرغم من انتهاء محنة الاضطهاد الروماني بتولي قسطنطين الكبير الحكم، وإصداره مرسوم التسامح الديني سنة313م، والذي بفضله أصبحت المسيحية دينا معترفا به، ومع ذلك بقي كثير من المسيحيين أوفياء لعزلتهم[63]، لأن «الرغبة في إماتة الشهوات الجسدانية وتغليب النواحي الروحية صار لها أثرها الكبير في بقائهم، هذا فضلا عما تمتع به المسيحيون في الصحراء من الأمن الجسدي والروحي الذي فقدوه في داخل البلاد»[64]. يقول"جوزيف نسيم يوسف" مؤكدا ذلك: «الظروف التي ألمّت بالعالم بين التاريخ القديم والعصر الوسيط هي التي ساعدت على دفع الكثيرين من معتنقي الدين الجديد (المسيحية) إلى الهرب إلى قمم الجبال وجوف الصحارى للتوحّد والتعبّد والتقشّف والتأمل في ذات الله العلية أملا في تخليص نفوسهم من أدران الآثام وأرواحهم من شرور الدنيا، وإعداد عدّتهم للحياة الثانية ونعيمها المقيم»[65]. وإن كانت هذه وجهة

نظر المسيحيين من الاضطهاد وفرارهم إلى الجبال والصحارى، فقد عاب عليهم بعض المؤرخين هذا الموقف مشيرين إلى أن المصريين الوثنيين كانوا أفضل بكثير من المسيحيين الهاربين[66].

- **السبب الاقتصادي:** تعدّ الأحوال الاقتصادية من أهم الأسباب لذيوع الرهبانية بين المسيحيين، ما يؤكد أن الرهبنة المسيحية لم يكن الباعث عليها الدين المسيحي، وأنها لم تكن مطلوبة من المسيحيين. إلا أن سوء الأحوال الاقتصادية في مصر منذ القرن الرابع ساعد على انتشار الرهبنة، وأشدّها وطأة كانت الضرائب التي فرضتها الدولة الرومانية عليهم، وأرهقت كاهلهم، فلاذوا بالفرار إلى الصحارى، تاركين خلفهم بيوتهم وممتلكاتهم مخيّرين بين حياة اللّصوص، أو حياة الرهبانية التي توفر لهم الأمن[67]، فاختاروا الثانية رغم ما فيها من عيش على الكفاف. والواقع أن عادة الهروب من السلطات إلى الصحراء نتيجة العجز عن دفع الضرائب كانت أمرا عاديا لدى المصريين القدامى[68]. وهذا دليل على أن المسيحية أخذت الرهبانية من ظاهرة مصرية قديمة هي الهروب إلى الصحراء نتيجة الظروف الاقتصادية[69].

وإن كان تردي الأحوال الاقتصادية دافعها الخوف، فيبيّن "حكيم أمين" سببا آخر دافعه الطمع فيقول«أوّل باعث على هذه الرهبنة هو القانون الذي وضعه قسطنطين سنة 320م وفيه يُعفى العزاب ومن لا نسل له من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم، وهذا القانون حدا بالكثيرين من محبي النفس والمال إلى الامتناع عن الزواج والذهاب إلى الأديرة»[70].

- **السبب الديني:** إن المتعارف عليه أن الرهبنة المسيحية بدأت بعيدا عن الكنيسة وأساقفتها ووظائفها الكنسية[71]؛ بل جاءت كردّ فعل عما عُرف عنها من انحراف، وُبعد رجالها عن تعاليم المسيحية خاصة بعد تقرير ألوهية المسيح، ووضع قانون الإيمان المسيحي في المجمع المسكوني بنيقية (325م)، لذا اعتزل بعض المسيحيين العالم والكنيسة احتجاجا على هذا الانحراف العقدي من جهة، والانحراف والفساد الأخلاقي لكثير من رجال الدين وانغماسهم في ملذات الحياة، فبدت الرسالة الدينية لدى البعض وكأنها رسالة دنيوية، لم تعد تشبع رغباتهم الروحية،الأمر الذي دفعهم للعزلة والانقطاع للعبادة والتأمل بعيدا عن الكنيسة ورجالاتها، في الصحارى وقمم الجبال، وفي ذلك يقو ل "حبيب سعيد"«وهناك عوامل أخرى أدّت إلى ذيوع النزعة الرهبانية ألا وهي انسياب روح الفتور في حياة الكنيسة، بعد أن اتّسعت دائرتها، ودخلها أناس من ذوي الميول الفاسدة، وقد رام بعض المسيحيين أن ينجوا بأنفسهم، ويسعوا إلى خلاصها بالاعتزال عن العالم، وإذلال رغبات الجسد، وكانت الفكرة السائدة أن المادة هي أصل كل الشرور، والجسد جزء من المادة، فلا مناص إذًا من قمعه وإذلاله، لكي تنطلق الروح من قيدها الجسماني -كما يعتقدون- إلى رحاب الهيام الروحي، لذلك اعتصم أولئك الزاهدون بالفقر والتحرر من مقتنياتهم، وارتداء الثياب الخشنة، والامتناع عن الطعام إلا ما يسدّ الأود، وإرهاق أبدانهم بكل صنوف المشقات، ونذر العفة المطلقة وقد آمنوا في دواخل أنفسهم أن هذا هو الطريق الأمثل لبلوغ الكمال الإنساني»[72].

إلا أن الأمر لم يطل كثيرا حتى أحكمت الكنيسة الغربية سيطرتها على الرهبان، أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس للميلاد بعد فتح الأساقفة لكنائسهم التي وضعوها تحت تصرف الرهبان، ورسّموا كثيرا منهم أساقفة[73] كما فعل "يوسبيوس" في إيطاليا[74]، وبشكل تدريجي تغلغلت الرهبانيةفي كيان الكنيسة، وصار لها مكانة ملحوظة في الحياة الدينية المسيحية، ولعبت دورا بارزا في تاريخ الكنيسة؛ حيث تحالف الرهبان مع رجال الكنيسة الأرثوذكسية ضد ما أسموهم بالهراطقة آنذاك، وعدّوهم اتجاها نسكيا بعيدا عن الحق، حافل بالهرطقات[75]؛ لأنه- في اعتقادهم- لم يكن حبّا في التنسك، ولا تقرُّبا به إلى الله، بل وسيلة خداعٍ للبسطاء من المؤمنين[76]، كما عدّوا كتاباتهم كتابات هرطقية تخدم عقيدتهم النسكية

الفاسدة، ويؤكد "تيموثاؤس" أن هؤلاء الهراطقة كانوا ينسبون أفكارهم المسمومة لقديسين عظماء معترف بأرثوذكسيتهم، فأصبحوا بفعلهم هذا شوكة في جنب الكنيسة الجامعة[77].

4. أعلام الرهبنة المسيحية:

الرهبنة نظام بدأ يستهوي نفوس المسيحيين منذ الجيل الثالث للمسيح في الشرق والغرب، فبرزت شخصيات سلكت طريق الرهبنة، وكانت في نظر المسيحيين رمزا للطهر، ونموذجا يحتذى به. وهذه لمحة بسيطة عنأهمأعلام الرهبنة المسيحية،وحياتهم النسكية، وتأثيرهم:

- **أوريجانوس (185-254)[78]:** وهو من أقطاب مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، تعلّم علوم عصره في المدرسة الإكليريكية بالإسكندرية، وعكف على قراءة الكتاب المقدس وتفسيره. أحبّ العزلة، والعيشة الصارمة، كانت تعاليمه النسكية تدعو إلى حياة التأمل والعزلة[79].

- **بولا (بولس الطيبي) (228-343):** من أعلام الرهبنة القبطية، ومؤسس رهبنة السواح. ولد في مدينة الإسكندرية سنة 228 م. توفي والده وترك ثروة طائلة، أثارت صراعا بينه وبين أخيه الذي أنكر عليه نصيبه، واشتد بينهما الجدال فقرر بولا أن يشتكيه، وفي الطريق رأى جنازة لأحد أغنياء المدينة لم يحمل معه لا ثروة ولا مالا، فشعر بتفاهة الحياة وقرّر حينها الخروج من المدينة، وجلس في قبر مهجور ثلاثة أيام بلياليها طالبا الإرشاد الإلهي.عاش أكثر من 80 سنة وحيدا[80] في مغارته التي حوّلت إلى دير بعد موته سنة343 م.

- **أنطونيوس (251-365م):** وهو مؤسسالنظام الرهباني والحياة الديرية المشتركة[81]في سائر البلاد المسيحية[82]، لذلك لُقب بـ(مبدع الرهبانية)[83]. ولد في مدينة (كوما) قرب بني سويف (مصر). وقد ربّاه والداه على التقوى والفضيلة. تعهد بتربية أخته الصغرى بعد وفاة والديه وهو لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره. تغيّرت حياته بعد زيارة للكنيسة وسماع نص من إنجيل متىعدّه رسالة موجهة له: (**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي**) (مت19:21). وفي الحال قام ببيع كل أملاكه ووزّعها على الفقراء، وألحق أخته ببيت للعذارى وارتحل إلى الصحراء، يقول "حكيم أمين": «ولعلّ من دوافع اتجاهه إلى الحياة الرهبانية ما عُرف عن حياته البسيطة التي عاشها في ظل التعاليم الكنسية، وما كان بمصر وقتذاك من الأفكار الكنسية، وكثرة النساك في الأكواخ المتفرقة على ضفاف النهر»[84]. ذاع صيته وانتشر خبر قداسته بين الناس، وتجمع حوله عدد كبير من راغبي العزلة والرهبنة وتتلمذ على يديه القديس اثناسيوس الرسولي. ومن أبرز محطات حياته كما يذكر "حكيم أمين"، والتي جعلت للرهبانية أهمية خاصة في تاريخ الكنيسة حرصه الشديد على توطيد علاقته بالكنيسة. ارتحل إلى الإسكندرية، وبعد عودته دعا إلى ضرورة الانتقال إلى الصحراء الشرقية، وفعلا حطّ رحاله في المكان الذي يتواجد فيه ديره المعروف باسمه حاليا، وفيه عكف على ضروب الحياة الرهبانية الصارمة، ثم شدّ الرحال مرة أخرى إلى الإسكندرية لمساندة الكنيسة ضد الأريوسيين، عاد بعدها إلى قلايته في الصحراء وظل بها حتى وفاته. دوّن رهبانه بعض الرسائل التي اعتزت بها الكنيسة والأديرة المسيحية بعده[85].

وينسب إلى "أنطونيوس" نظام العزلة الفردية[86]، أو كما يطلق عليه (النظام الأنطوني)؛ ويعد نظامه هذا أوّل نظام اتبع في الرهبنة المسيحية، لكنه لم يكن نظامًا للحياة النسكية بمعنى الكلمة، لأنه لم يطالب النساك بأكثر من التقشف والصلاة والعمل اليدوي[87]. وكان أوّل من ارتدى ثياب الرهبان الذي تمثل أساسا في القلنسوة البيضاء الذي استلمها من ملاك ظهر له[88] - كما يدّعي- والتي صارت باللون الأسود في

القرن التاسع للميلاد [89].كما وضع الأسس الثلاثة التي قامت عليها الحياة الرهبانية -فيمابعد-وهي: العفة أو (البتولية)، التجرد (أو الفقر)، والطاعة[90]. ويرجع المسيحيون الفضل لأنطونيوس في تشكيل الجماعات الرهبانية التي التفت حول رئيس روحي، وبفضله غيّرت الكنيسة القبطية نظرتها وموقفها المعادي للرهبنة، بل صارت أملها في حفظ تقاليد وتعاليم المسيحية[91].

- **باخوميوس (288-346م):** وهو «مؤسس الحياة الديرية وواضع نظم الحياة المشتركة للرهبان ولذلك يلقبونه بـ "أبو الشركة"»[92]. أوّل من جمع الرهبان داخل سور وجعل لهم رئيسا (مرشدا روحيا) يطيعونه، شيّد أوّل دير في صعيد مصر سنة 323م، وخلّف وراءه تسعة أديرة للرجال كما شيّدت أخته ديرين للنساء[93]. كانت قوانينه الخاصة بقبول الراهب في الدير وملابسه التي يرتديها والطريقة التي يعيش بها، والعمل الذي يتولاّه، ونظام صومه وصلاته هي الأصل الذي أخذت عنه جميع النظم الرهبانية في العالم المسيحي وبخاصة في أوروبا، وما زالت قوانينه محفوظة باليونانية واللاتينية[94]، وازدهر نظامه في العصور الوسطى في أديرة البندكتيين، والدومنيكانيين، والفرنسيسكان، وغيرهم من جماعات الكنيسة الكاثوليكية[95].

أما عن نشأة الحياة المشتركة، فقد تبلورت الفكرة لدى باخوميوس لمّا رأى في حياة التوحد المطلق قسوة بالغة، لا يقوى عليها إلا فئة مخصوصة، وهم الراغبون في حياة الكمال، فجمع هؤلاء المتوحدين وسنّ لهم نظاما عاما مشتركا للحياة الروحية، وهي حياة الشركة في المسكن والمأكل والعمل والصلاة داخل دير[96]، وعدّ الخضوع للنظام ولأوامر الرئيس فضيلة كبيرة، لأن فيها قهرا للنفس، ومقاومة لرغباتها وأهوائها[97].

- **القديس أوغسطين (354-430م)**: وهو أوّل من دعا إلى الجمع بين الراهب ورتبة الكاهن، وكان ميّالا إلى اختيار الكهنة من بين الرهبان، وجاءت قوانينه بمثابة نصائح عامة للحياة الرهبانية[98].

- **يوحنا كيساس (360-440م):** الذي عُدّ همزة وصل بين رهبان الشرق ورهبان الغرب[99]، من خلال مؤلفيه (المؤسسات الرهبانية) و(المحاضرات).

- **القديس بندكت (480-543م):** وهو من أدخل الحياة الرهبانية المعتدلة إلى بلاده، وبفضله أسهمت الأديرة البندكتية في نشأة أوروبا بعد انهيار الإمبراطورية في الغرب.

5. دور الرهبنة:

اضطلعت الرهبنة المسيحية بدورين أساسيين؛ الدور الداخلي: وتمثل في منع الهرطقات التي كانت منتشرة آنذاك، والدور الخارجي الذي تمثل في: التبشير بالمسيحية.

أما ما يتعلق بالدور الأول: فيتجلى من خلاله وبكلّ وضوح الدور الذي لعبته الرهبنة عبر التاريخ المسيحي، وهي الوفيّة للكنيسة؛ فقد واجهت الحركات النسكية الهرطقية التي كانت منتشرة في كل زمان، وأهمها:

- **الدوسيتية (dosithean)[100]:** والدوسيتية مشتقة من كلمة (Dekeo)، أي يظهر أو يتجلّى. وهي فرقة فلسفية مسيحية متأثرة بالغنوصية، ظهرت في القرن الثاني للميلاد، عارضتها الكنائس المسيحية بشدّة واعتبرتها جماعة هرطقية.أسّسها " دوسيتوس"، انتشرت بقوة في العالم المسيحي، وخاصة في الشرق بالشام حيث مارست النسك الشديد، ونادت بحفظ السبت بدل يوم الأحد، كما حافظت على التطهيرات والطقوس اليهودية. من تعاليمها النسكية: تحريم أكل جميع المنتجات الحيوانية، والبعد التام عن المعاشرة الزوجية إما نهائيا، أو بعد إنجاب الأطفال[101].

- **المارقيونية (Marcionism):** نسبة إلى مرقيون السينوبي. عاش في القرن الثاني للميلاد. طردته كنيسة روما عام 144م، فأسّس كنيسة مبنية على أفكاره ومنافسة للكنائس الأخرى. وحسب المصادر المسيحية فقد استغلّ مرقيون ثروته الطائلة في جذب المسيحيين إلى كنيسته، ونجح في ذلك وكثُر أتباعه حتى صارت كنيسته منافسة قوية لكنيسة روما، وبقيت عقيدته تسبّب القلق للكنائس الأرثوذكسية لقرون عديدة. رفض مرقيون العهد القديم وقبِل من العهد الجديد بعض أجزاء إنجيل لوقا، وعشر رسائل من (رسائل بولس). لا يُعرف عن جماعته الكثير، لأن أعضاءها تقوقعوا داخلها، ولم يتركوا أية وثائق تعرّف العالم بهم. من تعاليمه النسكية الزهد الشديد في المأكل والمشرب، وعدم شرب الخمر وأكل اللحم مطلقا كما نهى عن الزواج[102].

- **المونتانية (Montanism)[103]:** ظهرت هذه البدعة كما يقول "تيماثؤس" نحو عام 155م على يد مؤسسها "مونتانوس"،وهو في نظر المسيحيين من الهراطقة الخارجين عن الكنيسة. انتشرت حركته انتشارا واسعا نظرا لما تميّزت به من حياة التقشف الشديد والاندفاع المتهور لمواجهة الاستشهاد.

وعلى كلّ، فقد تصدّت الرهبنة في القرون الوسطى لما يطلق عليه (الاتجاه الهرطقي) مع أن سلطة الكنيسة في الغرب لم تتعرض لتلك الهجمات الهرطقية، وعلى امتداد ألف عام ظلت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تدير بلا جدال كل أوروبا الجنوبية والغربية والوسطى والشمالية. وبالرغم من ذلك فالانحرافات الهرطقية التي تعرض لها الايمان المسيحي بقيت بارزة، نذكر أهمها:

- **الكاتارية:** وكلمة (Cathar) تعني في اليونانية النقي[104]. اعتبرت الهرطقة الأقوى في القرون الوسطى تضاهي في قوتها الأريوسية[105]. تدعو هذه الجماعة إلى التطهر، والعفة المطلقة، وحرّمت أكل اللحم، والزواج وإنجاب الأولاد، والصيام. ومن المبالغات التي كانوا يمارسونها الموت جوعا، تجرع السّم، أو قطع الأوردة، وتسمى هذه العملية andura[106].كانت هذه الجماعة سبب ظهور محاكم التفتيش[107]؛ ففي عام 1224م أصدر الإمبراطور "فريديريك الثاني" دستورا يقضي بموجبه الحكم على الكاتاريين بالحرق[108]، فاشتعلت ايطاليا بالمحارق، والعجيب أن توما الإكويني يبرر هذا الفعل الشنيع تبريرا واهيا مصرّحا أنه إذا كان مقررا الحكم بالموت على مزوّري العملة، فإن إفساد الإيمان أخطر بكثير من تزوير العملات[109]. لكن، بالرغم من الموقف الرسمي الرافض لهذه الحركات إلا أن هناك من عدّ هذه الجماعات صاحبة الفضل في نقد الكنيسة وفضح تجاوزاتها نذكر منهم "وتلر" الذي يؤكد ذلك قائلا: «مهما تكن الحدود التي بلغتها تجاوزات هذه الهرطقات لم تكن عديمة الفائدة بالنسبة للكنيسة، فلقد انتقدت تجاوزاتها الفعلية»[110].

أما الدور الخارجي: فقد تمثل في التبشير بالمسيحية:

يؤكد المسيحيون على مكانة الرهبنة وفضلها في الحياة الدينية المسيحية، ومنهم "جوزيف نسيم يوسف" الذي يقول في هذا الشأن «إن الرهبنة بأشكالها المتعددة لعبت دورا قياديا في تاريخ الكنيسة المسيحية اعتبارا من القرن الثالث فصاعدا، وكانت الصوامع والقلالي هي مراكز الثقافة في العصور المظلمة، فمنها خرجت بعثات التبشير بالمسيحية، وعلى يد نزلائها تطورت الحياة الروحية التصوفية التي تركت أعمق الأثر على العقيدة»[111]. لقد كانت الأديرة إذًا مركزا مهما لأعمال التبشير بالمسيحية. وهذا ما يؤكده الأنبا يوأنس أيضا مُقرّا بدور الرهبنة في العصور الوسطى، والتي أصبحت عاملا قويا في نشر المسيحية[112]. ومن أمثلة ذلك ما قام بهكريستوف كلومبوس عندما صحب معه لفيفا من الرهبان

الدومينيكان والفرانسيسكان والبندكتيين واليسوعيين ليبشروا الهنود الحمر في أمريكا، أو ما قام به الراهب فرنسيس مؤسس رهبنة الفرانسيسكان بالتبشير في بعض البلاد الإسلامية، الصين، والهند.

وقد كانت الرهبنة الدومينيكانية أوّل رهبنة كاثوليكية تأخذ على عاتقها التبشير بالمسيحية، وهي مهمة كانت تعتبر قبلا حكرا على الأساقفة وامتيازا لهم. كما أوفد اليسوعيون بعثات كثيرة حول العالم لنشر الإنجيل، لا سيما في المستعمرات البرتغالية والإسبانية والفرنسية، إضافة إلى الهند والصين واليابان وأثيوبيا. كما لعبوا دورا هاما في إقامة الكنائس الكاثوليكية الشرقية في الهند والشرق الأوسط، ولعلّ تواجدهم المكثف في المنطقة العربية - حيث تنتشر مراكزهم في مئة واثنتي عشرة دولة - يفسّر تاريخيا من خلال ما قام به اليسوعيون من نشاطات تبشيرية في القرن التاسع عشر(19م) خصوصا في دمشق وحلب ولبنان، حيث انصب جهدهم بالدرجة الأولى على نشر الثقافة الدينية المسيحية[113].

وعليه: وبهذا العرض نكون قد خلصنا إلى جملة نتائج نجملها في النقاط التالية:

- نشأ في المسيحية نموذج صارم من الرهبانية يقوم على اعتزال الحياة تماماً في أديرة، يهمل فيها الرهبان أجسادهم ويقسون على أنفسهم ويحرمونها من كل متاع، وذلك كنوع من التوجه نحو الاهتمام بالعالم الروحاني فقط والذي هو المدخل إلى الملكوت السماوي، ما انتهى إلى الدعوة إلى إهمال الجسد لحساب تزكية الروح. وهو أمر مبتدع لم يدعُ إليه المسيح -عليه السلام- ولم تتضمنه تعاليمه، كما رفضها الإسلام بنص قرآني صريح. وكل ما تقدّم يؤكد أن فكرة الرهبنة اقتبست من الأديان التي سبقت المسيحية، وبالأخص البوذية، والديانة المصرية القديمة. والأمر ليس بغريب فليست الرهبنة فقط المستلّة من الأديان الأخرى بل وحتى التثليث والصلب والفداء.

- الرهبنة المسيحية بدأت بعيدا عن الكنيسة وأساقفتها، بل جاءت كردّ فعل عمّا عُرف عنها من انحراف، وُبعد رجالها عن تعاليم المسيحية، لذا اعتزل بعض المسيحيين العالم، وتركوا الكنيسة احتجاجا على هذا الانحراف.إلا أن الأمر لم يطل كثيرا حتى أحكمت الكنيسة سيطرتها على رجال الرهبنة، ووظفتهم لخدمة أغراضها.

- عرفت المسيحية عبر تاريخها نوعان من الرهبنة، رهبنة مقبولة وافقت تعاليم المسيحية كما دعا إليها بولس الرسول، والنظام الكنسي. وأخرى مرفوضة، عدّت هرطقة حوربت بشدة.

- احتضنت الكنيسة الرهبنة كنظام يمكن الانتفاع به لخدمة مصالحها من جانبين: فعلى الصعيد الداخلي اعتبرت الرهبان معولا تضرب به أعداءها من المسيحيين المعارضين لها، حين أشركتهم مع رجال الكنيسة الأرثوذكسية ضد ما أسمتهم بالهراطقة. أما على الصعيد الخارجيفقد استفادت منهم في نشر المسيحية في العالم، وعلى الأخص البلاد الإسلامية، لذا عرفت تطورا ملحوظا، ومحاولات للتجديد عبر التاريخ خدمة لهذا العرض.

وعليه: فإن ما ذكرناه في البحث لا يزيد عن كونه لفتات تحسس بأهمية دراسة موضوع الرهبنة المسيحية لِما تضطلع به من دور خطير في التبشير وتتبع نتائجها ولكنها لا تدعي الوفاء والكمال. لذا أوصي الباحثين بضرورة دراسة الرهبنة المسيحية وعقد ملتقيات علمية وطنية ودولية من شأنها إثراء النقاشات التي قد تفتح آفاق البحث الموضوعي الذي من شأنه أن يحدث فوارق في تتبع نشاطها، وأغراضها ووسائلها، والوقوف بتمعن عند الدور الخطير الذي تضطلع به، وأسند إليها لمّا رأت الكنيسة في دعواها الروحية مدخلا خصبا لتمرير العقيدة المسيحية بسهولة ويسر. لذا من واجبنا كمسلمين العمل على إجهاض مثل هذه المحاولات بالعلم، وفضح مخططاتهم من جهة، وإحياء للمفاهيم الصحيحة التي

تعبر بصدق عن روح الإسلام الحقيقي، وتؤكد الطرح الإسلامي الذي جاء مؤيدا بالنص القرآني الذي يصرح بأن الرهبنة بدعة بشرية، تنافي الفطرة السليمة وتجافيها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الكتب:

- أثناسيوس المقارى، معجم المصطلحات الكنسية، مطبعة دارنوبار، القاهرة، ط2، 2003م.
- أحمد حسن القواسمة وزيد موسى أبو زيد، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، دار الحامد للنشر والتوزيع: دار الراية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م.
- أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004م.
- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مطبعة رمسيس،القاهرة، دط، 1963م).
- إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع الأروبي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة القاهرة، والكتاب الجامعي، القاهرة، دط، 1980م
- اقلاديوس بك لبيب، قاموس اللغة القبطية، المطبعة الوطنية، مصر، دط، 1895م.
- بتشر، أ.ل، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: اسكندر تاضروس، مكتبة المحبة، القاهرة، دط، دت.
- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1987م.
- بول، تلش، تاريخ الفكر المسيحي، ترجمة: وهبة طلعت أبو العلا، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، القاهرة، دط، 2012م
- بيرل سمارى، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة: د قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م.
- تادرس يعقوب، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، المكتبة القبطية، مصر، دط، دت.
- جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، دط، 1984.
- جون لوريــمر، تاريخ الكنيسة، دار يوسف كمل، القاهرة، دط، 1982م.
-حبيب سعيد، تاريخ المسيحية (فجر المسيحية)، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، الفجالة (القاهرة)، دط، دت.
- رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارها الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة، القاهرة، دط، دت.
- سكاتولين، جوزيبي، تأملات في التصوف والحوار الديني (من أجل ثورة روحية متجددة)، تصدير: محمود عزب، تقديم: عمار علي حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 2013م.
-الكاملي فيصل بن علي، اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 1431هـ/2010.
- ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، تقديم ومراجعة: القس جرجي صبحي، المركز المصري للطباعة، مصر، دط، 2001م.
- الأب متى المسكين، لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، ط1، 1981م.
- ابن منظور، أبو جمال الدين(630هـ-711هـ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون،دار المعارف، القاهرة، 1989م.
- الأنبا يوأنس: مذكرات في الرهبنة المسيحية، المكتبة القبطية، دب، دط، دت. باقات عطرة من سير الأبرار والقديسين،المكتبة القبطية، دب، دط، دت.
- ويتلر.ج، الهرطقة في المسيحية، ترجمة: جمال سالم، دار تنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007م
- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة،ج2، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،القاهرة، دط، دت.
- راهبة من برية شيهيت، جوهر الحياة الرهبانية، مراجعة الأنبا إيسوزورس، دار نوبار للطباعة، دب، ط1، 2001م.

-Nouveau petit Larousse. Librairie Larousse. Paris .1970.p665

2. مواقع الأنترنت:

- إدموند خشان، الحياة الرهبانية في الكنيسة، (2003/01/17)، عيلة مار شربل:

http://www.ayletmarcharbel.org(2016-10-15)
- القمص أثناسيوس فهمي جورج:
- مدخل في علم الآبائيات: الباترولوجي، موقع الأنبا تكلا هيمانوت:
http://st-takla.org/books/fr-athnasius-fahmy/patrology/works.htm(20-11-2012)
- الحياة النسكية كوسيلة للتربية الرهبانية، موقع الأنبا تكلا هيمانوت:(2012/10/15) http://st-takla.org
- تيموثاؤس المحرقي، الحياة النسكية المسيحية وبعض النساك في القرون الأولى: -http://takfiknamati.tv/wp

الهوامش:

[1]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، المكتبة القبطية، دب، دط، دت، ص76-77.

[2]- المنهج التاريخي: اعتمدته في تتبع نشأة الرهبنة كظاهرة دينية، لها أسبابها، وظروفها، ثم التطورات الحاصلة في بنيتها.

[3]- المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما هي، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا. ولا يقتصر الأسلوب الوصفي على جمع المعلومات والبيانات عن ظاهرة معينة بل لا بد من تصنيف هذه المعلومات وتنظيمها، بهدف فهم واقع الظاهرة كما هو ومن ثم الوصول إلى استنتاجات وتعميمات لتطوير موضوع هذه الظاهرة. وكما سبق القول لا ينتهي البحث الوصفي بالحصول على هذه المعلومات بل لا بد من أن يتعدى ذلك للوصول إلى تفسيرات واستنتاجات وتعميمات. وهذا ما اعتمدناه في البحث، فقد درسنا الظاهرة، ووصفناها وصفا دقيقا، لفهم ظاهرة الرهبنة في الدين المسيحي لاستنتاج دورها الدفاعي عن العقيدة المسيحية من جهة، ونشر المسيحية في أقاصي الأرض ثانيا.

[4]- ابن منظور، أبو جمال الدين(630هـ-711هـ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون،دار المعارف، القاهرة، 1989م، ج1، ص1748.

[5]- المرجع نفسه، ص1748.

[6]- المرجع نفسه، ص 1748.

[7]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص1.

[8]-**Nouveau petit larousse**, (Paris : Librairie Larousse), p665.

[9]- إدموند خشان، الحياة الرهبانية في الكنيسة، (2003/01/17)، عيلة مار شربل: (15-10-2016)
http://www.ayletmarcharbel.org

[10]- رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارها الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة، القاهرة، دط، دت، ص23.

[11]- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة،ج2، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،القاهرة، دط، دت، ص882.

[12]- ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، تقديم ومراجعة: القس جرجي صبحي، المركز المصري للطباعة، مصر، دط، 2001م، ص165.

[13]- أمينحكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مطبعة رمسيس،القاهرة، دط، 1963م، ص1.

[14]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص1.

[15]-القمص أثناسيوس فهمي جورج، الحياة النسكية كوسيلة للتربية الرهبانية، موقع الأنبا تكلا هيمانوت: (2012/10/15) .http://st-takla.org

[16]- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج10، ص497.

[17]- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1987م،ج8، ص354.

[18]- متى 11: 26.

[19]- تك 37: 34. اقلاديوس بك لبيب، قاموس اللغة القبطية، المطبعة الوطنية، مصر، دط، 1895م، كلمة cok

[20]- الأنبا يوأنس، باقات عطرة من سير الأبرار والقديسين،المكتبة القبطية، دب، دط، دت، ص158. وتادرس يعقوب، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، المكتبة القبطية، مصر، دط، دت، ص35.

[21]- المرجع نفسه، ص158.
[22]- المرجع نفسه، ص158.
[23]- المرجع نفسه، ص63.
[24]- الأنبايوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص1.
[25]- الأنبايوأنس، باقات عطرة من الأبرار والقديسين، مرجع سابق، ص 170.
[26]- المرجع نفسه، ص 170.
[27]- رؤوف الحبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارها الإنسانية على العالم، مرجع سابق، ص34-35. والأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص ص30-31.
[28]- ويسابيوس القيصري (260-340م): أول مؤرخ للكنيسة المسيحية، وصديق الإمبراطور قسطنطين. له عدة مؤلفات في التاريخ والعقيدة منها: "تاريخ الكنيسة"، "حياة قسطنطين". بيرل سمارى، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م، ص44.
[29]- رؤوف الحبيب، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارها الإنسانية على العالم، مرجع سابق، ص ص34-35.
[30]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص ص29-30.
[31]- المرجع نفسه، ص31.
[32]- سكاتولين، جوزيبي، تأملات في التصوف والحوار الديني (من أجل ثورة روحية متجددة)، تصدير: محمود عزب، تقديم: عمار علي حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 2013م، ص295.
[33]- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مرجع سابق، ص10.
[34]- الأب متى المسكين، لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، ط1، 1981م، ص102.
[35]- أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004م، ص63.
[36]- رؤوف حبيب، الرهبنة والديرية في مصر، مرجع سابق، ص16.
[37]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص69.
[38]- المرجع نفسه، ص69.
[39]- المرجع نفسه، ص69.
[40]- المرجع نفسه، ص70.
[41]- تيموثاؤس المحرقي، الحياة النسكية المسيحية وبعض النساك في القرون الأولى، مرجع سابق، ص201.
[42]- المرجع نفسه، ص201.
[43]- المرجع نفسه، ص203.
[44]- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مرجع سابق، ص:ج.
[45]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص72.
[46]- المرجع نفسه، ص76.
[47]- المرجع نفسه، ص76.
[48]- المرجع نفسه، ص ص76-77.
[49]- المرجع نفسه، ص77.
[50]- تلش، بول، تاريخ الفكر المسيحي، ترجمة: وهبة طلعت أبو العلا، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، القاهرة، دط، 2012م،ص ص157 -158.
[51]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص70.
[52]- المرجع نفسه، ص70.
[53]- أحمد حسن القواسمة وزيد موسى أبو زيد، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، دار الحامد للنشر والتوزيع: دار الراية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م، ص149.

[54]- المرجع نفسه، ص149.
[55]- الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص85.
[56]- المرجع نفسه، ص86.
[57]- المرجع نفسه، ص76.
[58]- المرجع نفسه، ص76.
[59]- المرجع نفسه، ص87.
[60]- المرجع نفسه، ص76.
[61]- المرجع نفسه، ص87.
[62]- المرجع نفسه، ص75.
[63]- المرجع نفسه، ص28.
[64]- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مرجع سابق، ص6.
[65]- بتشر، أ. ل، تاريخ الأمة القبطية، ترجمة: اسكندر تاضروس، مكتبة المحبة، القاهرة، دط، دت، ج1، ص170.
[66]- أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص 69.
[67]- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مرجع سابق، ص6.
[68]- أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها، مرجع سابق، ص 66.
[69]- المرجع نفسه، ص 67.
[70]- المرجع نفسه، ص6.
[71]- المرجع نفسه، ص6.
[72]- حبيب سعيد، تاريخ المسيحية (فجر المسيحية)، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، الفجالة (القاهرة)، دط، دت، ص173.
[73]- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مرجع سابق، ص22.
[74]- جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، دط، 1984، ص181.
[75]- للتوسع انظر: ويتلر، الهرطقة في المسيحية، ترجمة: جمال سالم، دار تنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007م، ص 15 وما بعدها.
[76]- تيموثاؤس المحرقي، الحياة النسكية المسيحية وبعض النساك في القرون الأولى، مرجع سابق، ص207.
[77]- المرجع نفسه، ص ص211 -215.
[78]- للتوسع انظر: حبيب سعيد، تاريخ المسيحية (فجر المسيحية)، مرجع سابق، ص131.
[79]- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مرجع سابق، ص 12.
[80]- المرجع نفسه، ص ص15-16.
[81]- أحمد حسن القواسمة، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، مرجع سابق، ص148.
[82]- إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع الأروبي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة القاهرة، والكتاب الجامعي، القاهرة، دط، 1980م، ص 72.
[83]- جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مرجع سابق، ص13.
[84]- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مرجع سابق، ص ص15-16.
[85]- لوريمر، جون، تاريخ الكنيسة، دار يوسف كمل، القاهرة، دط، 1982م، ج2، ص137 وما بعدها.
[86]- أحمد حسن القواسمة، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، مرجع سابق، ص148.
[87]- القمص أثناسيوس فهمي جورج، مدخل في علم الآبائيات: الباترولوجي، موقع الأنبا تكلا هيمانوت:
http://st-takla.org/books/fr-athnasius-fahmy/patrology/works.htm (20-11-2012).

[88]- مجموعة من المؤلفين، بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية، مطرانية بني سويف، مصر، ط1، سنة1968م، ص128.
[89]- أثناسيوس المقارى، معجم المصطلحات الكنسية، مطبعة دارنوبار، القاهرة، ط2، 2003م،ج1، ص139.
[90]- تيموثاؤس المحرقي، الحياة النسكية المسيحية وبعض النساك في القرون الأولى، (دون بيانات النشر)، ص18.
http://takfiknamati.tv/wp-
[91]- أمين، حكيم، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، مرجع سابق، ص22.
[92]- بتشر، أ.ل، تاريخ الأمة القبطية، مرجع سابق، ص204.
[93]- أحمد حسن القواسمة وزيد موسى أبو زيد، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، مرجع سابق، ص148.
[94]- المرجع نفسه، ص205.
[95]- جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ج2، ص ص147-148.
[96]- أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها، مرجع سابق، ص100. وإبراهيم العدوي، المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص71.
[97]- للتوسع انظر: الأنبا يوأنس، مذكرات في الرهبنة المسيحية، مرجع سابق، ص46 وما بعدها.
[98]- أحمد حسن القواسمة، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، مرجع سابق، ص149.
[99]- المرجع نفسه، ص149.
[100]- جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ج 1، ص 102.
[101]- تيموثاؤس المحرقي، الحياة النسكية المسيحية وبعض النساك في القرون الأولى، مرجع سابق، ص207.
[102]- المرجع نفسه، ص ص208-209.
[103]- ويتلر، الهرطقة في المسيحية، مرجع سابق، ص66 وما بعدها.
[104]- المرجع نفسه، ص115.
[105]- المرجع نفسه، ص ص117-118.
[106]- المرجع نفسه، ص ص115-123.
[107]- المرجع نفسه، ص ص129-130.
[108]- المرجع نفسه، ص132.
[109]- المرجع نفسه، ص132.
[110]- المرجع نفسه، ص143.
[111]- جوزيف نسيم يوسف، دراسات في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مرجع سابق، ص181.
[112]-المرجع نفسه، ص84.
[113]- للتوسع انظر: - التبشير والتعليم والطباعة في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن 19: https://ar.wikipedia.org/wiki
- هجوم الإنجيليين...التبشير المسيحي بالعالم العربي: https://www.aljazeera.net/news/presstour/2018/9/8
- الكاملي فيصل بن علي، اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 1431هـ/2010.